من الضاد إلى " الداد " :
هل يفهم الآباء لغة الأبناء

• د. يوسف ربابعة

في كثير من المجالس العلمية والندوات المتخصصة يشكو أهل اللغة العربية ضعف الطلاب فيها وفقر مفرداتهم وعدم قدرتهم على كتابة الجمل الصحيحة فضلاً عن كتابة موضوع علمي أو نص أدبي، ويعزو كثير من المعلمين والأساتذة هذا الضعف إلى الوسائل التكنولوجية الحديثة، التي غزت العالم، ودخلت في عقول الجيل الجديد وقلوبهم، ويشكو أهل اللغة الحريصون عليها نقية صافية من عدم قدرة الطلاب، حتى طلاب الجامعات، على التعامل مع النصوص القديمة، وعدم القدرة على فهم محتواها ومضمونها، فعندما طلب أستاذ اللغة العربية من طلبة السنة الثانية في كلية الآداب قراءة المقامة البلخية وهي من مقامات بديع الزمان الهمذاني والتي مطلعها: «حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشَام قَالَ: نَهَضْتُ بِي إِلى بَلخَ تِجَارَةُ الْبَزِّ فَوَرَدْتهَا وَأَنَا بِعُدْرَةِ الشَّبَابِ وَبَالِ الفَرَاغِ وَحِلْيَةِ الثَّرْوَةِ، لا يُهِمُّني إلاَّ مُهْرَةُ فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهَا، أَوْ شَرُودٌ مِنَ الْكَلِمِ أَصِيدُهَا، فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلَى سَمْعِي مَسَافَةُ مُقَامِي؟ أَفْصَحُ مِنْ كَلامِي، وَلَمَّا حَنَى الْفِراقُ بِنَاقُوْسَهُ أَو كَادَ دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ فِي زَيِّ مِلءِ العَيْنِ، وَلَحيةٍ تَشُوكُ الأَخْدَعَيْنِ، وَطَرفٍ قَد شَرِبَ مَاءَ الرَّافِدَيْنِ، وَلَقِيَنِي مِنَ الْبرِّ فِي السَّناءِ، بِمَا زِدْتُهُ فِي الثَّنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: أَظَعْناً تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: إِيْ وَاللهِ، فَقَالَ: أَخْصَبَ رَائِدُكَ، وَلا ضَلّ قَائِدُكَ، فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَقُلْتُ: غَدَاةَ غَدٍ، فَقَالَ: صَبَاحُ اللهِ لا صُبْحُ انطِلاقٍ وَطَيرُ الوَصْلِ لا طَيْرُ الفِراقِ»

سكت الطلاب فجأة وظهر الوجوم على أفواههم والدهشة على وجوههم، ولم ينبس أي واحد منهم ببنت شفة، لأنهم لم يفهموا الكلام وكأنه قادم من بلاد غريبة.

وبعد أن أخذ الغضب من الأستاذ مداه وكال لهم قناطير من التأنيب والتأديب، قام أحد الطلبة وأعطاه هاتفه الجوال، وطلب منه أن يقرأ رسالة وصلته للتو، تقول:

«asmar akbar biktir min inno ydhar 3achacha michan 5 da2aye2 bas itilifizioun kollo 3achanou 24 h mou 5 minutes»

(1)

وهنا حاول الأستاذ بكل ما أوتي من قوة أن يترجم الرسالة، إلا أن الوجوم غلبه، وكان على الأستاذ أن يفسر لهم مقامته من أجل أن يفسروا له (مسجهم)، واحدة بواحدة.ومن هنا يظهر سؤالنا الراهن : هل يفهم الآباء لغة الأبناء؟ لأن الأب سيجد اليوم نفسه غارقاً في بحر من المفردات التي لايعرف مصدرها، ولن يكون مستبعدا أن يرد عليك طفلك الصغير عندما توجهه بكل جدية في أي شأن تربوي، فيقول: «يابابا خليك كووول» (2)، فيما ستجد الأم نفسها أمام ابنتها حائرة لاتعرف ماذا تقصد وهي ترفض طلب الزواج من شاب تقدم لها، فتقول :

* جامعة فيلادلفيا

من الضاد إلى " الداد "

«ياماما حاسه إنه مرروره بيئة»(3).
إن اللغة العربية اليوم تتعرض لمتغيرات جديدة، بعد انتشار الوسائل التكنولوجية المتعددة، من حاسوب إلى جوال إلى القنوات الفضائية وغير ذلك من وسائل تقينة حديثة، ساعدت في انتشار ما يعرف في عالم التكنولوجيا اليوم بـ» لغة الشات»، هذه اللغة ذات المصطلحات الخاصة التي تختلط فيها اللغة

طريقة الكتابة :

الرمز	مايقابله في العربية	المعنى
3	ع	يدطق حرف العين في اللغة العربية
'3	غ	يدطق حرف الغين في اللغة العربية
5	خ	يدطق حرف الخاء في اللغة العربية
6	ث	يدطق حرف الثاء في اللغة العربية
7	ح	يدطق حاء في اللغة العربية
8	ق	يدطق حرف القاف في اللغة العربية
9	ص	يدطق حرف الكاف في اللغة العربية
q	و	يدطق حرف الواو في اللغة العربية

بقية الحروف والرموز تدطق كما هي في اللغة الإنجليزية بمرادفاتها العربية مثل

الرمز	مايقابلة في العربية	مثل	الترجمة
a	يدطق حرف الألف	ana	انا
b	يدطق حرف الباء	baro7	بروح
y	يدطق حرف الياء	ya naser	ياناصر
s	يدطق حرف السين	salam	سلام
d	يدطق حرف الدال	dal3	دلع

* والأن احفظ هذه المعاني جيداً فهي تشكل 80% من لغة مستعملي الشات

*كيف يمكنك تقويه درجة الفهم والقراءة؟

يتم ذلك من خلال التعويد لأن فهم المعنى لايحتاج الا حفظ الرموز السابقة ولكن فهم وقراءة الجمل بشكل سريع يحتاج الى المزيد من التدريب.

الأجنبية باللغة العربية فيصبح من أساسيات اللغة العربية استخدام تعابير مثل « كانسل الموعد» أو « شيك على الإيميل» أو اعمل لي ميسد كول» أو « مسج لي على التلفون» وغير ذلك من التعابير التي انتشر استعمالها في أوساط الشباب، متعلميهم ومثقفيهم وعامتهم.
وقد بدأت المرحلة الأولى من التحولات بعد أن أخذ الشباب باستخدام الوسائل التكنولوجية في المحادثة والدردشة، ولأن برامج الحاسوب لم تكن تسمح بإدخال نص الكلام باللغة العربية، تحوّل بعض الشباب الذين لا يجيدون اللغة الإنجليزية إلى كتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية، وعمدوا إلى حل إشكال بعض الحروف التي لا يوجد رديف لها في اللغة الإنجليزية باستخدام بعض الأرقام للدلالة عليها، وهكذا أصبحت السبعة تعني حرف الحاء والثلاثة تعني حرف العين والتسعة تعني حرف الطاء وإلى آخره.
وإذا أراد الأب اليوم أن يفهم لغة ابنه بالحروف اللاتينية على (الشات) فإن عليه أن يعود إلى المعجم والكشاف الذي يعطيه مفاتيح تلك اللغة، كما كان على الإبن أن يعود إلى لسان العرب لفهم لغة الأجداد، وهكذا فإذا بحثت عن الكشافات الجديدة فإنك ستجد مرادك على أحد مواقع الإنترنت، حيث هناك مسرد للحروف العربية التي ليس لها مقابل في اللغة الإنجليزية، وقد استخدمت بعض الرموز للدلالة عليها، وستجد تعليمات وإرشادات إلى جانب الجدول المرفق، على النحو الآتي(4) :

وهكذا صار الجيل الجديد يكتب بهذه اللغة ويتفاهم بها ويحب بها أيضاً ويكره وربما يفكر، حتى إن طالباً في إحدى المدارس الثانوية أجاب عن بعض أسئلة الامتحان بلغته الخاصة، لغة (الشات) ناسياً في غمرة تماهيه مع الموقف لغة العلم التي تليق بمقامه ذاك.

ولم تطل هذه المرحلة إذ ظهرت مرحلة جديدة، عندما بدأت شركات الحواسيب بتعريب البرامج، وذلك بعد الإقبال الشديد من الناطقين بالعربية على استخدام لغة العصر، ومع هذا التحول تحولت لغة الشباب من الحروف اللاتينية إلى الحروف العربية، ولكن لم تعد اللغة المستخدمة هي اللغة الفصيحة المتعارف عليها في الكتابات الرسمية، ولم تعد رسائل عبدالحميد الكاتب دليلاً وهادياً للكتاب الجدد في الرسميات، ولم تعد رسائل الرافعي الغرامية في (أوراق الورد) ملاذاً للعشاق الجدد، بل صارت لغة (الشات) رائدهم في التعبير عن عواطفهم وهمومهم وأحزانهم .

لغة(الشات) العربية لها خصائصها وسماتها الخاصة أيضاً، فعلى الآباء أن يقرؤوا الكشاف الجديد ليفهموا رسائل أبنائهم، وأن يفهموا مراحل التطور التي مرت بها لغة أبنائهم (الشاتية)، فالمرحلة الأولى كانت بالتطابق بين المنطوق والمكتوب، وبخاصة في الحروف التي تلفظ ولا تكتب، فكلمة (هذا) تصبح (هاذا) و(ذلك) تصبح (ذالك) و(لكِ) تصبح (لكي) أي بمطل الحركة من أجل التمييز بين المذكر والمؤنث؛ لأن برامج الحاسوب تخلو من الحركات، والمرحلة الثانية تدمج بعض الحروف المتشابهة في النطق مثل حرف الذال والظاء بوصفهما متقاربين مع الزاي في لغة معظم العرب والاستغناء بالتاء عن حرف الطاء للسبب نفسه، ولذا فإنه وفي أحد الحوارات التي تدور في المنتديات كتب أحد الأشخاص رداً على منتقدي هذه اللغة، فقال: « ومن الزلم تكليف الجيل الجديد نتق هازه الحروف المفخمة كما أن هازا سيكون تخفيفا على متعلمي اللغة من غير الناتقين بها الذين لا يتيقون التلفز بها بسهولة»(5) وفي المرحلة الثالثة تم

من الضاد إلى " الداد "

الاستغناء عن حرف الصاد، وحل حرف السين مكانه، وتحول القاف إلى كاف والثاء صار سينا والحاء انقلب هاء، ويمكننا أن نقرأ الشاهد الآتي لنتبين صدق ما ذهبنا إليه– على رأي سيبويه: وقالت العرب:» سنستعمل الحروف الجديدة حيس ستسبح اللغة أكسر رشاكة على الألسن وسيتم توفير الكسير من المساحة في الكي بورد لأزرار ألعاب الكومبيوتر كما أن الموبايل بدونها يمكن أن يكون أصغر حجما»(6) وفي المرحلة الأخيرة ستكتب التنوين نونا والضاد تصير دالاً، وبذلك تتحول اللغة العربية من لغة الضاد إلى لغة « الداد»، وستصبح اللهجات العامية لغة التفاهم بين الناس، وسيصبح من المألوف قراءة هذه الرسالة على مواقع (الشات): « ما هو مفيش حد بيتحدا حاجة ولا بيعمل حاجة، يعنى مثلان هيجيلوا واحد يقلوا لا يا كوكو انت قلت هتحدى العالم يبق لازم تكون اد كلمتك وتروح تتحدى، ولا حد هيتنازل عن العرش علشان واحدة . ولاابوها يسمع النونوس بتكلم على بنتة يقوم ساحب الفرفر و يجرى ورا الواد لحد ما يرمية برة البلد علشان اتجراء و قال الى فى قلبة لا طبعا ولا هيحصل . ماهو اصل الكلام بباالاش .....و كتر منة»(7)، فهل كل ذلك من أجل تسهيل اللغة على الجيل الجديد، لتصبح لغة حيوية تجاري متطلبات العصر الجديد، أم أن ذلك نوع من الانحطاط اللغوي الذي يتطلب مراجعة شاملة وحلولاً جذرية؟ وهل تعد تلك الظواهر مقبولة لأنها دلالة على التطور الطبيعي لأي لغة في العالم؟ تلك الأسئلة باتت اليوم ملحة في عالم تتصارع فيه الأفكار وتتنافس اللغات، ويبدو أن الأسهل منها هو الأكثر استخداماً وألفة، فقد كانت اللغة العربية يوماً هي الأقرب إلى لغة العصر من حيث السهولة وسرعة الكتابة، فهذا المستشرق (ريتر) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة إستانبول وهو من الخبراء الذين درسوا في العهد العثماني وما بعده في عهد أتاتورك، يقول : « إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا، كانوا يكتبون ما أتلو عليهم بسرعة فائقة، لأن الحرف العربي اختزالي بطبيعته، أما اليوم فإن الطلاب يكتبون بالحرف اللاتيني ولذلك فهم لا يفتأون يطلبون إليّ أن أعيد عليهم العبارات مراراً، إنهم معذورون – ولا شك – فيما يطلبون لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها، فلابد من كتابة الحروف بتمامها، أما الكتابة العربية، فهي أسهل كتابات العالم، وأوضح ، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل، وتوضيح الواضح».

الهوامش

(1) معنى هذه الرسالة: أسمر أكبر من أن يظهر على الشاشة من أجل خمس دقائق لكن التلفزيون كله لأجله أربعا وعشرين ساعة وليس خمس دقائق .

(2) هذه العبارة تعني (كن ظريفاً ولطيفاً) .

(3) هذه العبارة تعني (أنه غير جيد بشكل كبير)

(4) هذا الجدول مأخوذ عن أحد مواقع الإنترنت اسمه (لغة الشات).

(5) معنى العبارة هو (ومن الظلم تكليف الجيل الجديد نطق هذه الحروف المفخمة كما أن هذا سيكون تخفيفا على متعلمي اللغة من غير الناطقين بها الذين لا يطيقون التلفظ بها بسهولة).

(6) معنى العبارة هو (سنستعمل الحروف الجديدة حيث ستصبح اللغة أكثر رشاقة على الألسن وسيتم توفير الكثير من المساحة في مفتاح الأزرار « الكي بورد» لألعاب الكومبيوتر كما أن الهاتف النقال بدونها يمكن أن يكون أصغر حجما).

(7) هذا النص مكتوب باللهجة المصرية، ويمكن قراءته على النحو الآتي : ليس هناك أحد قادر على التحدي ولا يستطيع عمل أي شيء، يعني مثلاً سيأتي أحدهم ويقول له يا صديقي أنت قلت إنك ستتحدى العالم فيجب أن تكون بحجم كلامك، وليس هناك من يتنازل عن عرشه من أجل فتاة، وأبوها إن سمع الكلام عن ابنته فإنه لن يسحب مسدسه ويركض خلف الذي تكلم ليقتله، طبعاً ذلك لن يحصل، وما دام الكلام بلا ثمن فيمكنك أن تكثر منه.